

في

حلم وعفو وصفح الخليل ﷺ

فضيلة الشيخ

على عبد الخالق القرنى







في حِلْم وعفو وصفح الخليل ﷺ

(١)

لفضيلة الشيخ

عليِّ بن عبدالخالق القَرْني

ـ حفظه اللَّه ـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

القرني، علي بن عبد الخالق.
الأكليل في عفو وصفح النبي الخليل ﷺ
علي بن عبد الخالق القرني.
الجيـــــزة/ مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٦٤ ص، ٢٠ سـم   ط١   ٢٠١٠
تدمك: ٤ / ٢٨٢ / ٤٧١ / ٩٧٧ / ٩٧٨.
رقم الإيــداع: ١٦٧٨٤/ ٢٠١٠   ديوي: ٢٣٩،
١- السيرة النبوية.



٣٦ ش اليابان - الهرم   ت/ ٣٥٦٢٨٣١٨
٦٣ ش المنشية - فيصل   ت/ ٣٧٤١٠٧٠٤
٥ درب الأتراك الأزهر   ت/ ٢٥١٤٨١٤٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

الحمـــــد للَّـــــه ذي الجـــــلال
وشـــارع الحـــرام والحــــلال
حمــدًا لمــن أرســل خيــر مرســل
لخيـــر أمـــة بخيـــر الملـــل

الحمد للَّه، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، أضحك وأبكى، وأمات وأحيى، وأغنى وأقنى، ووعد فوفى، وأوعد فعفا، فله الحمد في الآخرة والأولى.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا.

فالالـــتجاء لـــواحد أحـــد فـــلا
ملـك يُـلاذ بـه ولا مـن أرسـلا
مالـي سـوى رب الـسماوات العـلا
فهـو المرجـى في الشدائد والبلا

وهو المؤمل إذ يعم الابتلا

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، البدر جبينه، واليم يمينه، والحنيفية دينه، نصر الحق وأكثر عديده، وخذل الباطل وأبلى جديده، وتمم مكارم الأخلاق بخلاله الحميدة وأقواله السديدة، فكان لبنة التمام وروي القصيدة، هدى اللَّه به وشفى من كان في الضلالة على شفا، فصلوات اللَّه وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أولي الفضل والوفا.

ما أرهفت وأرعفت يراعي
في مهرق ينابع البراعي
وجلجل الرعد وسح مزنه
وهب شمئل وماد غصنه
واشتاق مؤمن إلى الجنان
وفاز في الفردوس باستشهاد

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] أما بعد:

معشر الإخوة، الشوق للقائكم حدث ولا حرج، والحديث معكم زهر يفوح منه الأرج، فسلوا من دب ودرج، باللوا والمنعرج، والوجوه تشهد بلا عوج.

فالبشر قد ملأ الوجوه نضارة
فتكاد من فرط النضارة تقطر
يا من بطلعتهم يلوح لنا الهدى
وبيمن رؤيتهم نزيد تيمنًا
بكم اتحدت هدى فلو حييتكم
قلت السلام علي إذ أنتم أنا

أي غرًّا بهاليل، وأبطالًا ميامين، صدور المحافل وقادة الجحافل، سيوف الحق التي بها نصول، وألسنة الصدق التي بها نقول، عمادَ الأمة وأسدها، وخزرجها وأوسها، من نحسبهم قد اتخذوا سبيل اللَّه سبيلًا، وجعلوا محمدًا ﷺ وحزبه قبيلًا، نضر اللَّه هذه الوجوه وضاحة الأسارير، نفاحة الطيب كأفواه القوارير.

تغنيك طلعتها عن نبض منطقها
والوجه يروي فصيح القول أحيانًا

في ليلة مزجت سرور مساءها
بصباحها وصباحها بمسائها

زهراء يعبث عقدها بوشاحها

بتحية الإسلام أحييكم، تحية تعلو محياكم، وتنتعش برياكم، غراء محجلة، طاهرة مبجلة، تحرك الضمير، وتقي الجمع من التكفير، فالسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

سلامًا كعرف الروض غب الهواطل
ألذ من التعليم من في قلب جاهل

ألذ من التسهيد في جفن ساهر

حياكم اللَّه للإسلام تروضون رياضه، وتذبون عن حياضه، تشدون ذرائعه، وتقيمون شرائعه، ترفعون رأسه، وتعلون صرحه، وتحسنون فهمه وعرضه وشرحه، وتعمرون مغناه، وتطبقون معناه، وللأمة تصونون عرضها، وتستردون قرضها، وتصلون أسبابها، وتفتحون أبوابها.

فـأهلًا وسـهلًا مـا رسـت ثم يذبل
وما جال ذكر الزاد في قلب مرمل

وما انشـــرحت نفس امرئ متغرب
لـثوب قـشيب نالـه بعـد مـثمل

أنـــتم الـــنور بديجـــور الليالـــي
وبـــناة العـــز يـــا نعـــم البـــناة

خطــوات المجــد مــنكم وثــبات
وشـــعار النـــصر علـــم وثـــبات

معشر الإخوة، لم يعد خافيًا على ذي عينين أن أعداء اللَّه أجمعين، تنادوا على أمتنا مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتداعوا مصطلحين، تعاووا من كل حدب، وتهاووا من كل صبب.

حمـر تـداعت إلـى فعـل القبيح كما
قـدمًا تواصت على أبوالها الحمر

نصبوا لها في كل حفرة عاثورًا، ووضعوا لها في كل فجّ

فخًّا، وأجمعوا على ألا يكون لها جارية في بحر، ولا سارية في بر، بطرائق بالكيد والمكر تكاد تعجز الشياطين أن تأتي بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

عقـــود علـــى حـــربها توثـــق
ومـــال علـــى ضـــربها يـــنفق
إنهـــا الـــيوم قـــصعة والأعـــادي
يـــتداعون حـــولها كالـــذئاب

يريدونها تابعة ذليلة، تقتات فُتات موائدهم، وتتمسح بأعتابهم، وتسير في ركابهم، وتتهاوى تحت مطارقهم، وتعيش بنفسية مغلوبة لا غالبة.

أفعالهـــــا معـــــتلة أقـــــوالها مخـــــتلة
وقلوبها تتصدع

فقـــام البلـــيد ونـــام الخبيـــر
وهـــان الجـــواد بـــسوق الحميـــر

يؤزها لهذه الهاوية عدو قريب وخصم ألد:

طـــــويل الـــــباع للأعـــــدا

ويـــــبخس أهلــــــه بخــــسًا

أهـدى بطرق المخزيات من القضا

وأضـــل ممـــن آمـــنوا بـــسجاح

يسعى في هدم الملة بجمع القلة، يحذف الأصلي والزائد، والصلة والعائد، ويطيل باب التعجب، ويمحو علامة الرفع، وسلامة الجمع، لا يعرف معنى للعيب إذا امتلأ الجيب، ولا يأبه للعار وإن دخل النار، يختار مخرج الغين الغربية على الراء العدنانية، ويتمنى عاهة واصل بن عطاء ليستريح من النطق بالراء.

وكـــــل يمـــــيل إلـــــى شـــــكله

كمـــيل الخـــنافس للعقـــرب

بسط يده ولسانه وقلمه بالسوء، والعدو من ورائه يتوارى به كما يتوارى سائق الحمار بالحمار، ثم يخذه لينتفع على غير غريزته وحاله وقاله: ارم بهذا فإنما أعددتك وغذيتك ورفعت ذكرك لمثل هذا، ارم دينك باسم دينك،

واخدع أمتك باسم أمتك، واكذب على تاريخك باسم تاريخك، أجهز على البقية الباقية، ولك الجنة الواقية، والمنزلة الراقية، وفى خدمتك الصحيفة والشبكة والقناة والمذياع، وفى نصرتك الأشياع والأتباع، ارم باسمك لتغطي به اسمي، وقل بلسانك ومن ورائه لساني.

وحسبنا أننا روحان في جسد

وشعرتان في حبل من مسد

على مذهب الاتحاد مع شيوع الإلحاد، فانطلق يسقي السم، ويقسم أنه ماء الحياة.

وأكذب ما يكون أبو المخازي

إذا آلى يمينًا بالطلاق

وتحت تلك المطارق، أصبحت الأمة تدفع إلى الاستعادة من الفخ بالخاتل، والاستعانة على الحياة بالقاتل، فنسيت أو كادت: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة/ ٦٣] وحفظت: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»[١] فميعت

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وصحيح مسلم (١٧٣٤).

وما يسرت، رددت ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة/ ٨]، ونسيت ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة/ ٥١]، وتركت ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ [الأنفال/ ٦٠].

فصارت في المحافل واو عمرو
وهمز الوصل في درك الكلام

وصار العدو على يقين أنها مروضة على مقابلة اللكم بالبكم، والصفع بالشكر، فأرسل الوخزة الأخيرة المؤلمة المتمثلة في رسوم السخرية بسيد البشرية -عليه صلاة وسلام رب البرية.

فرية يا قوم لو يسمع عنها
جبل صلب عظيم ما تحمل

ولعلها وخزة مقصودة للتجربة الأخيرة في هذا الجسم، أيتحرك ويتألم، أم يسكت ولا يتكلم؟ وأراد اللّٰه بالأمة خيرًا، إذ وقعت هذه الوخزة على لحم مرضوض حساس، فأثارت فيه الإحساس، فتململ على منقذه، فكان شجى في حلقه، وشوكًا في حشاه، وغصة في لهاته، إذ أسفرت الوخزة عن نار كامنة فاشتعلت، وصرخات مكبوتة

فانفجرت، وثارت وفارت، وتفجرت كل حنجرة، وهدرت كل شقشقة.

سنرد الديون صاعًا بصاع
أو بصاعين أو بألف وأكثر
أتذلوننا بحفنة نيدو
أم نبيع الحمى بزبد وسكر

ولاذ اللطيم بأمه أخرس من سمكة، وأشد تخبطًا من طائر في شبكة.

فصيهل الجياد رج المعسكر
قيصر الروم عن قريب سيعقر

ولكل سحر ثعبان، ولكل طاغية موسى، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فلربما انتفع الفتى بعدوه
كالسم أحيانًا يكون دواءً

جاء الحدث معلنًا: هون عليك واتئد لاتبتئس.

فاللـــيث يجمـــع نفـــسه متحفـــزًا
للوثب حين تراه يمشي القهقرى

إننا أمة نامت ولم تمت، مأزومة تكابد، وحية تجاهد، نالت الأحداث من جمسها، ولم تبلغ مكمن الإيمان من نفسها، يأبى لها دينها أن تلين لعاج، أو تلين لضلال الأعاجم.

كـــم أرادوا أن يقبـــروها ويأبـــى
مالـــك الملـــك ان تمـــوت وتقبـــر

وصرَّح الحدث الأليم قائلًا: من اتكل على زاد عدوه طال جوعه.

والحـــــر يأبـــــى أن يـــــضاما
ولا يطـــيق العـــيش عـــبدًا

وجاء الحدث الأليم ليقول: واللَّه لو أن الأمة في حالة تأهب، لما تجرأ عبدة الصلبان، اللئام الطغام على الاستخفاف بالكتاب، وبرسول الأنام، عليه الصلاة والسلام.

ومـن لم يكـن ضرغامة يدفع الردى

ويحمـى حمـاه تفترسـه الـضراغم

وجاء الحدث ليقطع من أصم آذاننا بالآخر، قائلًا: هذا هو الآخر الذي تطلبون وده، وتتحرجون من تسميته بما سماه اللَّه به، يرفض ودكم، ويعلن كراهيته وسخريته بكم، وبدينكم ونبيكم وكتابكم، فماذا أنتم قائلون، ومن هو الآخر الذي تزعمون، وعليه تحرصون، أليس هو الكافر الذي يدير المجازر غير عابئ بأحد اليوم، في فلسطين والعراق وأفغان ولبنان وجل بلاد المسلمين، وما زال يسعى بكل وسيلة إلى حصار الأمة وإذلالها بمنع الماعون، وعلاج حماها بالطاعون، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة/ ٥١]، ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة/ ٢].

ومـن ظـن خيـرا بأهـل الـصليب

غبـــي وإدراكـــه ضـــيق

ونطق الحدث فقال:

لـئن والـى قـريبك مـن تعـادي

فقـد عـاداك وانقطـع الكــلام

ألا لتكن غضبتنا للَّه، وعداوتنا للَّه، لكل من أساء إلى ديننا وثوابتنا، سعيًا في فضحه، ومطالبة بحكم اللَّه فيه، ولو كان من بني جلدتنا، ويتكلم بلساننا.

من يبع نفسه لقرد خسيس
فهو من قرده أخس وأحقر

ومن سعى في سن سيف الحق، فلا يلمه إذا خشن متنه وآلم جرحه، ومن استفزه الغضب أو نزا به الألم من وقع ما يسمع، فهو المريب يقول: خذوني.

يقبل ذلة أيدي الأعادي
ويلطم خسة خد العشير
وأقصى همه شبع وري
ونعم العيش في شرع الحمير
فالحق أبلج لا تغيب شموسه
يجلو خبايا الخائن المتشرد

ونطق الحدث فقال: أي ثعالة، حذاري زئير الأسد، وما

زئيره إلا السخط على من يغالط الحقيقة فيشتط، وينحط.

احـــذر ثعالـــة أن تدنـــو لغابتـــنا

فاللـــيث في بابهـــا جـــاث علـــى

أقـــصر فـــما أنـــت أهـــل أن تـــصاولها

فالحـوم حول حماها غاية العطب

ونطق الحدث فقال: إن تبليغ سنته ﷺ وأخلاقه وسيرته إلى الخلق أجمعين في صورة حية عملية تطبيقية واجب الوقت وكل وقت، ورتبة ما بعدها رتبة، ودون سبيل تنحط كل هضبة.

فـــما لـــي جـــنان عـــدن مـــن طـــريق

ســـوى هـــدي النبـــي خيـــر الهـــداة

يـــا لهـــف مـــن وافى القـــيامة مـــا لـــه

مـــن هديـــه زخـــــــر بـــه يتـــزود

ولذا كانت هذه الكلمات بعنوان: «الإكليل في خلق الخليل ﷺ».

الإكليل ما الإكليل؟

العصابة المزينة بالجوهر أو الزهر أو الورد على الرأس توضع وما في معناها إكليل .

السحاب الملمع بالبرق للسماء إكليل.

كل معنى جميل، وخلق جليل لصاحبه إكليل.

نزه جواك وخلصه لبارئه

إن النزاهة فوق الرأس إكليل

فإليك إكليل الخصال وتاجها

تربو على روض الربا أزهارها

ويرف في نادي الندى ديباجها

إنه إكليل يعلنها صريحة غير مجمجمة.

نحن للمجد خلقنا أيها التاريخ سطر واكتب

إلى من يستنزل الغيث من غير مصبه، ويستروح ريح الرحمة من غير مهبه، قد نصب محمدًا ﷺ بقرآنه وسيرته وأخلاقه، أعلام هداية في كل مصعد ومنحدر تقول: نحن حمى الأخلاق من ألف لياء، في أخلاق القرآن ما يكفي،

وفي هدى رسول اللَّه ﷺ وسيرته ما يشفي، لن يغشى على أبصارنا ببريق حضارة الغرب المادية، وأخلاقه الدنية الرزيلة؛ لأننا اكتحلنا بإثمد المدنية.

لـن نرضـى غيـر اللّـه معـبودًا ولا
خلقًـا سـوى خلـق النبـي محمـد
فهـو الـذي مـنح الخـلال جمالهـا
ومكـارم الأخـلاق جـاء يـتمم
والأرض تشهد والسما والأنجم
صـلى علـيه اللّـه جـل جلالـه
والخلـق قـد صلوا عليه وسلموا

وهو ما ذا إكليل قصف رعده، وخطف برقه، وعصفت ريحه صوب من يهذي ويومي يقبح القيح بشدقيه ويرمي، من نفخ الشيطان في أنفه بصعيق سخفه، فانبرى يسخر بسيد الورى، في ضروب من اللغو والفرى، من أرحام حنظلية، وأصلاب صليبية، لاشية متلاشية، ساخرة عاشية كالماشية، مزق اللَّه منها الأصل والحاشية، ولا نشأ منها

ناشية، يقول: خبت يا حارس الوصيد، لا بديع في البيت، ولا بيت في القصيد.

يـا ناشـر الـسخف قد حركت تيارًا
إن كـنت ريِّحا فقد لاقيت إعصارًا
او كـنت سيلًا فقد لقيت ذا لججج
مغطمطـمًا طـامح الأمواج زخارًا
طــوفانه إن طـما لم يــبق فائــضه
من شيعة الكفر فوق الأرض ديارًا

لا يكن صوتك الصيت، ولو شربت البحر الميت.

يـا سـخيفًا قـد تغـذى بقـازرات الجـراء
فـبما يحـويه مـنها رشـحت تلـك الإنـاء
يـا سـخيف الـسخفاء في ابـتداء وانـتهاء
إنمـا بابـك بـاب النفـي لا بـاب الجـزاء
ولهـذا صـرت مـن نحوك في بـاب الهجـا

فاعرف قدرك، وإياك وهزؤك وغدرك.

لـئن كـنت فـيما قد بدا منك أخطلا

فهــذا جريــر راصــد والفــرزدق

أي نديم الكلاب، ومسقط الذباب، تماري في القمر إذا اتسق، والشمس تجلو الغسق.

وأكمـــه تـــسخر مـــن مبـــصر

وحـــاف تـــشير إلـــى ناعـــل

لقــد شــهدت لكــم هــر وكلــب

بــأن الخــزي قــد حــزتم لــبابه

ومن لم يدر قدر الشيء عابه

أبإبـــرة مـــثل الهـــباة كـــسيرة

تـــسطيع قلـــع الهـــضبة الـــصماء

أببهـــرج زيـــف تطـــاول عـــسجدًا

شـــتان بـــين غـــياهب وضـــياء

يـــا أيهـــا الكلـــب المجـــسر بـــؤ بها

فـــزت الـــسباق بحلـــبة الـــسفهاء

إن اللَّه زكاه وكفاه، وقرن ذكره بذكره، فليس بقعة ولا وقت ولا خطيب ولا مؤذن ولا مسلم إلا وهو يردد: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه.

فأين الحشد من شمس وبدر
وأين الثعلبان من الهزبر
هذا الذي نزل القران بمدحه
فبأي شيء بعد ذلك يمدح
وبأي شيء بعد ذلك يقدح

ألا اخسأ يا ابن اللقيطة، لك الويل والعمى، وبفيك الحجر، رأيك محجوج، وقولك ممجوج، ورأسك مشجوج، طاشت سهامك، ولفظت جعباك، مغالب الطهر مغلوب، ومحاربه محروب، فخذها أيها الأبتر المدحور المذءوم.

سلام مبدل الميم
على فوديك بالحاء
يا أيها الوغد الضليع حقارة

هلا غزلت بغير هذا المغزل

قل ما تشا يا ابن الخبيثة إنني

عن شتم أولاد الزنا مشغول

إكليل يقول:

لو لم تكن لي في القلوب مهابة

لم تكدح الاعداء في وتقدح

كالليث لما هيب خط له الزبا

وعوت لهيبته الكلاب النبح

إكليل يقول: طريق العيان أقرب إلى اليقين، فلا ينقاد الناس إلى الهداية إلا بالصورة الحية العملية التطبيقية لأخلاق خير البرية، تشهد بذلك الحديبية، حين أمر ﷺ أصحابه بالقول ـ مع علمهم أنه لا ينطق عن الهوى ـ فترددوا، ثم عمل ﷺ فتتابعوا في العمل اقتداء وكأنهم غير من كانوا.

قد كان قرآنًا يسير أمامهم

وبه اقتدوا فأضاءت الأفكار

ويشهد لذلك الواقع، طبيب غربي درس الإسلام فأحبه، ودخل فيه ثم هاجر إلى ديار المسلمين؛ ليستفيد في مجال التطبيق.

فإلــى نبعــنا يــسير العطاشــا

فلــماذا نــسعى وراء الــسراب

جال في شمال إفريقيا فلم يجد بغيته، وعاد إلى القاهرة فلم يظفر إلا بخبيته، فقال لإمام الجامع الذي يصلي فيه كلمة أليمة ثقيلة فحواها: الحمد اللَّه أنني عرفت الإسلام في صورته الصحيحة، قبل أن أتعرف على أهله البعيدين عن تطبيقه، فلو كان اتصالي بهم قبل الإسلام لوقعت في الفتنة ـ فنعوذ باللَّه أن نكون فتنة ـ نعم يا معشر الإخوة، إن فاقد الشيء لا يعطيه، إذا لم تكن الشمس فلا تنتظر الشعاع، إذا لم يكن القمر فلا تنتظر النور، إذا لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ، إذا لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر رائحة الورد، من ظن خلاف هذا فهو غر أو مغرور أو هما معًا.

ومـردود كلامهـم عليهم كـما رد الـنكاح بـلا ولي

إكليل يقول: في الخلق صفوة، وصفوة هؤلاء الصفوة

أنبياء اللَّه ورسله، وفي الذروة منهم أولي العزم من الرسل، وذروة الذرى سيد ولد آدم أجمعين -عليه وعليهم صلوات اللَّه وسلامه أجمعين- فرد في عالم، وعالم في فرد، تبوأ أعلى الدرجات على الإطلاق في سلم الأخلاق، رفيع الذرى من فوق أعلى الفراقد.

ينحط قولي عن حقيقة قدره

ولو انني فيه نظمت الجوهر

خلقه ما خلقه؟ القران خلقه.

سل عنه ياسينًا ونونًا والضحى

إن كنت لم تعلم حقيقة شانه

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، كلمة من اللَّه، تتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء اللَّه، شهادة من اللَّه، في ميزان اللَّه، لمحمد بن عبد اللَّه، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وفى القيامة تبدو شمس رتبته

كأنها فوق هام الخلق إكليل

من ذا الـذي يـسطيع حـصر سماتـه

سـل محكـم الآيـات عـن أخلاقـه

وفي هذا المضمار الخطير لا يسعني إلا أن أعترف بالقصور والتقصير؛ ثم أقف على روض أخلاقه ﷺ لأظفر لكم الليلة بزهرة بقيع، أو وردة ربيع؛ نضرة الورق، طيبة العبق، دانية القطوف، ظاهرة بلا كسوف، ليكون العنوان: «الإكليل في حلم وعفو وصفح الخليل ﷺ».

تغاريد عذبة في أذهان الأجيال، وخلال باقية في الأعقاب.

وماذا عسى في حلمه أنا قائل!!

ولو جئت فيه مطنبًا بالفرائض

لـئن رام قولـي أن يحـيط بوصـفه

أحـاط بقولي العجزُ من كل جانب

وزمـزم لا يعـرف طعمهـا إلا

الـذي وافى لكـي يـشربا

لكننـــي مـــن المُعـــين أســـتمد عـــونًا

فـــما لي مـــن دونـــه مـــن معـــتمد

يـــا مالـــك المُلـــك يـــا مـــن لا نـــد لـــه

أخلـــص مقالـــي ويـــسر لي مهماتي

حلمه؛ ما حلمه؟!!

الـــشهب تغـــرب في كـــنانة حلمـــه

والفجـــر يـــشرق في دجـــنة عفـــوه

حدِّث عنه ما شئت؛ عباب لا تكدره الدلاء، سحاب تتقاطر عنه الأنواء، والذي رفع السماء، ونصب أُحدًا وحراء، وعلم آدم الأسماء، ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أحلم ولا أحزم من رسول اللَّه ﷺ.

لـــيس في الحلـــم لـــه كـــفءٌ وهـــل

تـــستوى يـــومًا شـــمالٌ ويمـــين؟!

راجح إن طاشت الأحلام، ثابت إن زلت الأقدام، دون حلمه الطود الأشم، والصخر الأصم.

خضاب رضوى لو اهتزت رواسخها

مـا اهتـز في حلمـه ساق ولا كدد

كل حليم حفظت له هفوة أو زلة، إلا رسول اللَّه ﷺ، فلا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

فـــيه يبـــيت الحلـــم معتـــصمًا إذا

هـزت ريـاح الطـيش ركنا يذبل

وحسبه أنه نبي، فعليه اللَّه صلى، وعليه اللَّه سلم.

كان ﷺ أحلم الناس.

لا يـــنطق العـــورا ولا يرضـــى بها

إن قـــاده نحـــو الأذى ســـباب

لا تستخفه التوافه، ولا تستفزه الشدائد، اتسع صدره، وامتد حلمه، وجاوز العدل إلى الفضل، تربى على السمو والطهر، يفيض من حلمه وأناته على ذوى النزق والحمق حتى يلجئهم إلى الحق، فتأنس النفوس له أنس الرياض بالهلال القطر، والساري بطلوع البدر، والمسافر بتعريس

الفجر.

يـا خيـر خلـق اللّـه مهما حدث عن
علـيا شـمائله فقلبـي يـشهد

بـه انطلـق الـسماح وكـان رهـنًا
وأضـحى الجهـل مشدود العقال

ها هو ذا أعرابي مرد على الجفوة في التعبير، والإسراع في التفريد، والنبي ﷺ يقسم غنائم حنين، إذ جاء بها هذا الأعرابي شنعاء عوراء، حين قال: والله إنها لقسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله. يالله أيحتاج النهار إلى دليل؟! أتفتقر الشمس إلى مصباح؟! أيفتقر البدر إلى صباح؟!

والعـدل والـرأي المـسدد والتقـى
والـبأس والمعـروف مـن قرنائه

يقول ابن مسعود: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، فأتاه فسارَّه بها، فشق ذلك عليه، وتغير وجهه، واشتد غضبه، حتى ود ابن مسعود أن لم يكن أخبره، وقال: لاجرم لا أرفع إليه بعدها حديثًا أبدًا، ولكنه مع ذلك ﷺ لم يأخذه الغضب

من هذا الأعرابي الغليظ الجافي إلى ما يكره، ولو أشار بأصبعه لطارت بسيوف أصحابه هامته، لكنه كبح جام غضبه، وصبر وعفا عنه، ولم يزد بجوابه على أن بين له ما جهله، ووعظ نفسه مقتديًا بالأنبياء قبله وقال: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّه وَرَسُولُهُ! يرْحَمُ اللَّه مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[1].

أيـــنا يـــدرك مـــا في الـــــقـــول هـــذا مـــن حـــلاوة

خلــق لــو أن الفجــر حــاز ضــياءه عاش الضحى أبدًا ومات الغيهب

معشر الإخوة، غضب رسول اللَّه ﷺ من تلك الجملة القبيحة، حتى صار وجهه كالصبغ الأحمر، فكيف لو رأى وسمع ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ ما يُرسم عنه ويلصق به، ويسخر به اليوم من تهم تكاد السماوات تتفطر منهن، وتخر الجبال، لكن رسول اللَّه ﷺ وجد من يغضب له

(١) صحيح البخاري (٢٩٨١)، وصحيح مسلم (١٠٦٢).

حقًّا، كعمر الذي لم يرى كفارة لقوله غير إراقة دمه لو أذن له، وبعضنا -لا أشبع اللَّه بطنه- لا يزال يتردد في مقاطعة كماليات هي أدنى ما يرفع اللوم اليوم.

كل يقول أنا الذي فإذا الذي
ليس الذي ياويح من لم يفعل

ومع ذا فإن رسول اللَّه ﷺ لم يوافق عمر على قتله، فتركه حرًّا طليقًا يقاسي آلام ما تلفظ به، إن كان في القلب إيمان وإحسان، فاللَّه ما أحلمه ﷺ.

ماذا أقول إذا وصفت محمدًا
عجز البيان وحلمه لا يفقد

وحسبه أنه نبي.

صلى عليه بارئ العباد
والآل والصحب ذوي الرشاد

كان ﷺ أحلم الناس، في رفق ووقار، لا يزعزعه إعصار.

....

حـاز المكـارم مـن قول ومن عمل

سـل عـنه وانطـق بـه واصـغ إلـيه

تجـد مـلء المسامع والأفواه والمقل

العـادل الطـيب البـر الحلـيم لـه

كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

يحب الرفق ويدعو له، ويقول: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، إِلاَّ زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١). و«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّه»(٢).

فـرحب صدر لو ان الأرض واسعة

كوسـعه لم يـضق عـن أهلـه بلـد

في «الصحيحين»(٣) عن أنس ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ قال:

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٩٤).

(٢) صحيح الجامع (٦٦٠٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٩٨٠)، وصحيح مسلم (١٠٥٧).

كنت أمشي مع رسول اللَّه ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، وفى رواية مسلم: ثم جذبه إليه جذبة حتى رجع نبي اللَّه في نحر الأعرابي، وجاذبه رسول اللَّه ﷺ حتى انشق البرد، وبقيت حاشية البرد في عنق رسول اللَّه ﷺ غلظة خلق، وجفاء معاملة، تذهل القلب، وتذهب اللب، يناديه باسمه، ويجذبه بشدة، ويطلب في جلافة ويقول: مر لي من مال اللَّه الذي عندك.

فظاظة منتنة الأنفاس جالبة للقيء والعطاس

وفى ظلال قول اللَّه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، يتحمل النبي ﷺ أذاه، ويدفع السيئة بالحسنة، ويعفو عنه يتألف قلبه.

....

كعود زاده الإحراق طيبًا

التفت النبي ﷺإليه، فما قهره ولا نحره ولا زجره، ولا وبخ ولا عنف ولا قطَّب، وما ذاك بخلق له ﷺ ولكن قال

فيما روي: «الْـمَالُ مَالُ اللَّه، وَأَنَا عَبْدُهُ، وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيّ عَلَى مَا فَعَلْتَ»، فقال الأعرابي: لا. قال: «لِـمَ». قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة[1].

حلمه مثل سنا الشمس وهل
لسنا الشمس يُرى من جاحد

أومضت بروقه، وزمزت رعوده، وهطل غيث، وتفتح زهره، وأورق عوده، وعلى الترتيب والتعقيب والاتصال الذي تفيده الفاء، فضحك وأمر له بعطاء.

تخجل السحب إذا ما وازنت
وازنت مرة بين نداه ونداها

ذاك صدر نافس الحلم به
كل صحراء بعيد منتهاها

بوقار نبوي لو رمى
قلل الأجبال لانهدت قواها

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ١٠٨).

وحسبه أنه نبي، فعليه اللَّه صلى، وعليه اللَّه سلم.

كان ﷺ بحر حلم وجبل وقار وعلم.

إذا مـــا الحلـــم عـــد فـــما ثبيـــر

و مـــا حـــضن لديـــه ومـــا شـــمام

خرج إلى الطائف على قدميه داعيًا لدينه في معاناة مريرة لو قوبل مقابلة حسنة، فكيف إذا اجتمع مع هذا العناء سوء مقابلة وسفاهة، ولما مكن ممن أنزلوا به الأذى أبى.

لا تـــضربن بـــه في حلمـــه مـــثلًا

فـــما لـــه في البـــرايا يعـــرف المـــثل

صور ﷺ هذه المعاناة حينما سألته عائشة -رضي اللَّه عنها وأرضاها-: هل أتى عليه يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ**». ردوه كذبوه سخروا منه، أغروا سفهاءهم به، بالحجارة رموه.

فلقـد عجبت من أهل هذا الطائف

وصـدودهم عن ذا النبي اللاطف

عبد اللَّه تأمل، إن إصابة رسول ﷺ كانت يوم أحد كانت جسديًّا بليغة، شج وجهه وكسرت رباعيته، لكن إصابته يوم العقبة كانت أشد وأبلغ؛ لأنها إصابة لنفسه، إرهاق لذهنه، معاناة لفكره، كلم لقلبه.

لـو أن ثهلانًـا أصـيب بعـشرها

لـتدكدكت مـنه ذرى ثهـلان

قال: «فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ». ياللَّه لرسول اللَّه! ما أعظم الهم الذي انهال على قلبه، وأخذ بفكره من الطائف، فما أفاق إلا في السيل الكبير، كالجبل الأشم والطود الشامخ الأتم، ترى فيم كان يفكر؟

دعـوه لا تلومـوه دعـوه فقـد هـم بـما لم تعهـدوه

لعله ﷺ كان يفكر في أمر دعوته، مر عليه عشر سنوات ولم يستطع نشر الإسلام في مكة بالقدر الذي يتمناه، يفكر

كيف سيدخل مكة وقد خرج منها، وهي تغلي حقدًا عليه وتربصًا به، إنه بين عدوين، عدو خلفه وراء ظهره، أساء معاملته، ولم يسمح له بالدعوة في بلده، وعدو مقبل ينتظره ليوقع الأذى به، بوارق من ورائها صواعق، وفي طيها بوائق، ولكن من كان عبدا للإله فلا يسام ولا يضام.

لقد كان تفكيره المتواصل يدل على أنه ﷺ يعيش قضيته بكل مشاعره وأحاسيسه، والذي يعيش قضيته بهذه المشاعر ينجح بإذن اللَّه، فالنصر والتوفيق في خطواته، فهو ﷺ وإن لم يصل إلى مراده مع أهل الطائف، فقد نجح في اجتذاب أفضل العناصر البشرية الموجود ة بمكة، ونجح في ذلك العام في اجتذاب نفر من الخزرج اعتنقوا الإسلام وكانوا سببًا في انتشاره في المدينة.

سيفتح باب إذا سد باب
نعم وتهون الأمور الصعاب
مع الهم يسران هون عليك
فلا الهم يجدي ولا الاكتئاب

معشر الإخوة، إن على كل مسلم أسوة بنبيه ﷺ أن

يجعل الإسلام قضيته الكبرى في الحياة، يطبقه كما جاء، ويدعو له باهتمام، ويدافع عنه بقوة وحكمة، ويجاهد في سبيله بجد وإخلاص.

فأعـــدد همـــة الغـــد كـــل يـــوم
فـــما الدنـــيا ســـوى يـــوم وثـــان
ومـــا غيـــر العظـــائم باقـــيات
يكـــــرر ذكـــــرها في كـــــل أن
كـــساعات الـــزمان تـــنال ذكـــرًا
ومـــا الإهمـــال إلا للـــتواني

قال ﷺ: «فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَرَفَعْتُ رأسي وَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّه سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ لَكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ». واللَّه يا معشر الإخوة للفظة مفردة منه كانت كافية لإطباق الجبال عليهم قبل تركيب الجملة، لكنه بعث

للعالمين رحمة، رآهم مرضى يجب إسعافهم، وضحايا يجب إنقاذهم، ففي حلم و أمل في الهداية يفوق في إحساسه الشعور بالرغبة في الانتقام، والتشفي ممن أنزلوا به صنوف الأذى، تجاوز آلامه وما يعتلج في نفسه من الأسى، آملًا أن يسلم من في أصلابهم إن كان في قدر اللَّه عدم إسلامهم. قال -ومفاتيح كنوز حلمه تنوء بالعصبة أولي القوة-: «لَا، بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّه مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1]، وقد كان.

بحر محيط بالحلوم وكم بدت

من ذلك البحر المحيط جواهر

يعفو ويصفح قادرًا عمن جنى

عملا بقول اللّه فاعفوا واصفحوا

ما لا رأت عين ولا سمعت به

أذن ولا أمسى ببال يسنح

(١) صحيح البخاري (٣٠٥٩)، وصحيح مسلم (١٧٩٥).

فيا من أسوته رسول اللَّه.

للـرفق والعـنف أسـباب وأمكـنة

ففكـروا في مكان الفعل والسبب

كـم بسمة فتحت قلبًا وقد عجزت

عـن فتحه صرخات الشعر والخطب

كان ﷺ أحلم الناس.

سـاس أقـوامًا فـساسوا أممًـا

بـيد الإنـصاف في حـزم ولـين

وقـضى فـيهم بـشرع قـيم

فـأراهم كـيف يقـضي العادلـون

حاز القوة كل القوة، قوة هي أكبر من الخصم، وأشق من خوض الخصم، ألا وهي قوة الخلق المتمثلة في نصر النفس على غرائزها ونزواتها وميولها.

أنـاة فـإن لم يغـن عقـب بعـدها

وعـيد فـإن لم يغـن أغـنت عزائم

يقول الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ما مضمونه:

تصور -عوفيت- لو أن رجلًا قتل أحب الناس إليك وأعزهم عليك، ثم جاء مستسلمًا لدعوتك وأنت الداعية، براكين في القلب منه تثور، تضيق بها جنبات الصدور، هل تنسى ما ذرفت من دم القلب وماء العين عليه وتعفو؟ لا أريد إجابتك، ولكن أريد أن تعلم أن رسول اللَّه ﷺ عفا عن قاتل عمه حمزة رضي الله عنه أسد اللَّه وأسد رسول اللَّه لما أسلم[1].

من كان يحمل في جوانحه الضحى
هانت عليه أشعة المصباح

هل تعلم أن هندًا بلغ حقدها على رسول اللَّه ﷺ ودعوته أن فعلت ما لم تفعله امرأة، وما لم يفعل إنسان ولا ذئب ولا نمر، شقت صدر حمزة رضي الله عنه، وأخرجت كبده ولاكته ولفظته، وفعلت في حرب رسول اللَّه ﷺ الأفاعيل، فلما مكن منها ما تظنون أنه فعل؟

(١) صحيح البخاري (٣٨٤٤).

رحابـة الـصدر فـيه غيـر خافـية

مـن أجلهـا عظمت فيهم مكانته

عفا عنها، وبايعها، وقبل إسلامها، فأثرت هذه المعاملة في نفسها واستنارت بصيرتها، فأعلنت بإسلامها تاريخًا جديدًا تمحو به آثار ماضيها، فقالت: واللَّه يا رسول اللَّه، ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من أهل خبائك، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك[1].

وفي خطـرات الـنفس مـا لم يقـم به

بـيان ولم يـنهض بأعـبائه الـشعر

وصدق اللَّه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٩].

أحـسن إلـيهم إن أسـاءوا إنـما

مُلْـك القلـوب يكـون بالإحسان

---

[1] صحيح البخاري (٣٦١٣)، وصحيح مسلم (١٧١٤).

كان ﷺ أحلم الناس.

ثبت الجنان له حلم يوقره

إن خامر الطيش ركنا يذبل وحراء

يعفو عن الذنب العظيم تكرمًا

ويجود مسئولًا وإن لم يسأل

أهل مكة جرعوه وأصحابه الصاب والعلقم، أخرجوه من بلده، حاربوه في البلد الذي استقر فيه، آذوه في نفسه وجسده، قالوا عنه ونالوا منه، قاطعوه في الشعب وحبسوه. وضعوا الشوك في طريقه، ألقوا سلا الجذور على رأسه، ائتمروا به ليقتلوه، سخروا به كل سخرية، لا يومًا ولا يومين، ولا سنة ولا سنتين، ثم أظفره اللَّه بهم، فأذعنوا في ساعة من نهار إلى حق قضوا في حربه نيفا وعشرين سنة، ويحكمه اللَّه فيهم، فأقامهم أمامه حول الكعبة أذلاء لا يملكون لأنفسهم شيئًا، وجاءت ساعة العقوبة المشروعة التي يكون فيها الرد على سلسلة طويلة من الإساءات والتعديات، ها هو ذا يقول لهم: «**مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ**»؟ اصفرت الجباه، ويبست الشفاه، ودارت

العيون، وظُنت الظنون. إنهم يذكرون ما كانوا يفعلون، ويعرفون أن استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم عين ما يستحقون، لكنهم مع هذا يذكرون خلقه ﷺ ولا ينسون فيقولون: أخ كريم وابن أخ كريم. وفي انتظار الحكم يجمون ويطرقون، ولو كان الحكم بقتلهم جميعًا ما وجد صديق ولا عدو يلومه بأدنى كلمة، وجاء الحكم مفاجأة وأي مفاجأة، إنها مفاجأة أدهشت عصره وكل عصر يأتي بعده، وفعلت في نفوس قريش ما لم تفعله السيوف إذ جبرت كسرتهم، وكسرة حدة من لا يرضيه إلا ضرب يزيل الهام عن مقيله، قال -في بيان وبلاغة تفتن كل لبيب وأديب-: «أَقُولُ مَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»(١).

كأن القول من فيه
لهم در وياقوت
وأن الورد والريحان
فيه المسك مفتوت

(١) السلسلة الضعيفة (١١٦٣).

فأســراب الــسرور لهــا قــدوم

علــيهم والهمــوم لهــل انهــزام

كان رسول اللَّه ﷺ أحلم الناس، يتجاوز عن المسيء، فيشرق قلبه بالإسلام ويضيء، لا تحركه الأهواء، ولا التصرفات الرعناء.

تلــذذه بالــصفح والعفــو والتقــى

وبــذل العطايــا لا بطــيب المآكل

ذا أبو سفيان، جمع الناس لحربه، وقتل أصحابه ومثل بهم في أحد، وحزب الأحزاب يوم الخندق، ودبر لصده عن البيت يوم الحديبية، ومع ذا يعفو عنه عام الفتح ويلاطفه ويقول: «وَيْحَكَ أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فيقول أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أوصلك وما أكرمك، لقد ظننت أن لو كان مع اللَّه إله غيره لقد أغنى عنا شيئًا بعد، أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنك رسول اللَّه.

ومــن يــرد ضياء الشمس إن بزغت

ومــن يرد طريق الغيث إن سكب

فأكرمه النبي ، فجعل بيته مثابة وأمنًا: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»(١) .

يحذيـه قــولًا ليـنًا مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

وحسبه أنه نبي، كان أحلم الناس، ما عاشره متجرد إلا أحبه فانقاد لدعوته.

سـيرته سـارت علـى نَهـج الهـدى

ولا يلـــي إلا اختـــيارًا أبـــدًا

لا يضيق بسفه سفيه ولا بجهل جاهل.

لـو تـستطيع العـلا جاءتـه خاضعة

حتـى تقـبل مـنه الكـف والقـدم

ذات يوم جاءه إليه يهودي اسمه زيد يتقاضاه دينًا قبل موعده، والنبي في جنازة أحد أصحابه، فأخذ اليهودي بمجامع قميصه وردائه، ونظر إليه بوجه فظ غليظ وقال: ألا تقضيني حقي، والله إنكم لمطل يا بني عبد المطلب.

(١) السلسلة الصحيحة (٣٣٤١).

تلـــك واللّـــه رزيـــة يـــا إلهـــي

كـيف يرضـى مـن لـه نفـس أبية

نظر إليه عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير.

يـــصول بـــسيف كثيـــر إذا كـل حـد لـه جد حد

يقول: يا عدو اللَّه، أتقول لرسول اللَّه ما أسمع وتفعل ما أرى، والذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر من لومه لضربت بسيفي هذا رأسك.

يرغـــي ويـــزبد هـــدارًا ومـــصطحبًا

والـسيف في يـده يعلـو ويخفـضه

أما زيد فيالزيد، انخلع قلبه فرقًا، وتندى جبينه عرقًا، وجد الموت قبل ذوقه، وأتاه حتفه من فوقه، ورسول اللَّه ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ويقول: «كُنَّا أَحْوجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي. اذْهَبْ يَا عُمَرُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا جَزَاءَ مَا رَوَّعْتَهُ»[١].

(١) السلسلة الضعيفة (١٣٤١).

فـالحلم ثـوب وهـو سـاحب ذيله

والعفـــو مهـــر في يديـــه لجامـــه

ذهب عمر وأعطاه وزاده العشرين، فقال زيد: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول اللَّه ﷺ أن أزيدك جزاء ما روعتك. قال: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، من أنت؟ قال: زيد بن ثعنة. قال: الحبر؟ قال: نعم. قال: فما حملك على أن فعلت ما فعلت وقلت ما قلت؟ قال: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيئًا إلا عرفته حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما: هل يسبق حلمه جهله؟ وهل تزيده شدة الجهل عليه حلمًا؟ وقد عرفتهما، وأشهدك يا عمر أني رضيت باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا، وأشهدك أن شطر مالي صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر: أو على بعضهم، فإن مالك لا يسعهم. قال: أو على بعضهم. ثم أتى رسول اللَّه فآمن به وصدقه وحاله:

فحـــبك مالـــك لحظـــي ولفظـــي

وإظهـــاري وإضـــماري وحـــسي

من المشاعر ما يعي البيان به
من ذا يترجم عن قلب بما نبض

كان زيد نكرة فدخلت عليه أداة التعريف، وعدل بالرفق بعد التحريف، ورد إلى الأصل الصحيح عند التصريف.

عار من الكبر والأدناس ذو شرف
لكنه من سرابيل العلا كاسي

والأصل لا يعتد بالعاري.

كان ﷺ أحلم الناس، لينًا في غير ضعف، حازما في غير عنف.

تملك الحلم حتى مالمفتخر
في الحلم حاء ولا لام ولا ميم

ها هو أعرابي جاهل قام يبول في ناحية المسجد، فثار الصحابة إليه وهموا به وزجروه: مه مه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ»[1] لا تقطعوا عليه بوله.

---

(١) صحيح البخاري (٥٦٧٩)، وصحيح مسلم (٢٨٤).